

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث عائشة -رضي الله عنها- "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن الأحاديث التي أوردها المصنف -رحمه الله- في باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضُ عَلَيْهِمْ))^(١)، متყق عليه.

والشاهد في هذا الحديث الذي أورده من أجله المصنف -رحمه الله- ظاهر، وهو أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لربما أحب شيئاً من الأعمال فتركه شفقة ورحمة وكراهية أن يفرض على الناس، وذلك كقيام الليل جماعة، ((احتجر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حجيرة مُخَصَّةً أو حصيراً، فخرج رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي فيها، فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته، ثم جاءوا ليلة فحضرروا، وأبطأ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنهم فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبووا الباب، فخرج إليهم مغضباً، فقال لهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة))^(٢)،

وهذا بطبيعة الحال في زمن التشريع، وبعد موته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإن ذلك قد أمن من أن يفرض على الناس؛ لأن التشريع قد اكتمل، ولهذا جمعهم عمر -رضي الله تعالى عنه- على إمام واحد، وقال: نعمت البدعة هذه، وأصل هذا العمل عمله رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتركه لعذر، ثم بعد ذلك أعاده عمر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

لكن ينبغي أن يفرق في هذا المقام بين أمرين، بين هذا الحديث وما يدل على شفقة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأمته، وبين ما ورد من النصوص العامة والخاصة التي تحت على العمل الصالح، فاللحد على العمل الصالح أمر لا شك أنه مقرر وواقع كثيراً في الشريعة في نصوص الكتاب والسنة، وقد جاء الثناء على السابقين بالخيرات، وحث الناس على المسارعة في طاعة الله -بارك وتعالي-، كما في قوله تعالى:

^١ - أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب تحريض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على صلاة الليل والنواول من غير إيجاب، (٥٠ / ٢)، برقم: (١١٢٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحي وأن ألقها ركعتان، وأكملها ثمانية ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحد على المحافظة عليها، (٤٩٧ / ١) برقم: (٧١٨).

^٢ - أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، (٢٨ / ٨)، برقم: (٦١١٣)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، (٥٣٩ / ١).

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، إلى غير ذلك من النصوص وهي كثيرة جداً في الباب، فهذا أمر مقرر، ويلحظ معه قول الله -تبارك وتعالى- **{بِإِيمَانِهِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْقُفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [التغابن: ٤]، فهذه العداوة التي وصفها الله -تبارك وتعالى- وحذر منها ليست العداوة التي بمعنى البغض والكراهية، وإنما هي عداوة الجالب لها المحبة والشفقة، وذلك أن الرجل لربما يريد الهجرة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيتعلق ولده بثوبه، وتأخذ امرأته بيده ويقولون: إلى من تدعنا وتركتنا؟ فيرق لهم، فيترك الهجرة، فإذا أراد الحج لربما تعلقوا به، وإذا أراد أن يصوم قالوا من باب الإرافق والمحبة والشفقة: الصيام يشق عليك، وإذا أراد أن يعتمر قالوا: قد اعتمرت، لا نطبق فراقك، أو يقولون له إذا كان في أول العمر: أنت شباب وأمامك فرصه و المجال واسع، وإذا كان الإنسان قد رق عظمه وتقدم به السن قالوا له: أنت ضعيف، ولا تطبق ذلك وهذا يشق عليك، فيبعدونه عن طاعة الله وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فيكون الواحد منهم دافعه المحبة والشفقة، ولكنه قد فعل بصاحبـه فعل عدوـه المبغضـ، ماذا يريد عدوـه منه؟ لا شك أنه يريد أن يبعدـه عنـ الخـير والـقربـاتـ، فـهـذا لـونـ وـشـفـقـةـ النـبـيـ -صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -لـونـ آخرـ، فـيـنـبـغـيـ أنـ نـفـرـقـ بـيـنـ هـذـاـ وـهـذـاـ.